بحث بعنوان:- البعد البيئي في الكتاب المدرسي لمادة اللغة العربية

(كتاب التلميذ في الصف الأول الابتدائي نموذجاً)

مقدم للمشاركة في المؤتمر الثالث للغة العربية المقام في دبي

مقدم من: د. عبدالله صالح الطاهر

عميد كلية التربية /بني وليد/جامعة الزيتونة

ليبيا

المقــدمة

تهدف هذه الدراسة لبيان أوجه القصور وسبل تفاديها في كتاب التلميذ للصف الأول الابتدائي, حيث أن الكتاب المدرسي يعد وسيلة تربوية, تصاغ بعناية بالغة وتشتمل على مضامين وأنشطة ، تتوخى في مجموعها تحقيق أهداف ، لا يكاد تخرج عن تبليغ معارف للمتعلمين، وإكسابهم مهارات وقدرات وتقنيات تنفعهم في حياتهم وتكون فيهم مواطنين صالحين.

ويكتسي الكتاب المدرسي أهمية كبرى ، تجعله عنصراً أساسياً بالنسبة إلى المعلم والمتعلم معاً، وتكمن أهميته في أنه مصدرٌ رئيسٌ للمعرفة ، يلازم المتعلم خلال مراحل دراسته ، وفي أنه يحدد للمدرس ما ينبغي تدريسه للتلاميذ.

وتحاول هذه الدراسة الموجزة تتبع البعد البيئي والجهوي في هذا الكتاب المؤلف حديثاً ، حيث نجد أن هذا البعد حاضر في الكتاب ، وذلك من خلال الصور المتنوعة التي تمثل الحاضرة والبادية والمناطق الصحراوية والساحلية والجبلية، فالصورة عنصر أساس في العملية التعليمية ، فهي تساعد علي تعلم التلميذ، ويتسر أمر اكتسابه جملة من المعارف والخبرات ونحوها .

ويظهر لمتصفح هذا الكتاب المدرسي لمادة اللغة العربية ، أنه يعكس خصوصيات بعض الجهات والمناطق داخل ليبيا ، ثقافيا واجتماعياً وجغرافياً ويجسد ما يمتاز به هذا البلد من تنوع بيئي مهم.

وللإنسان لغته الإرادية التي يتعلمها من بيئته ، التي تتكون من مقاطع متنوعة وكلمات وجمل ، وتلك الكلمات وهذه الجمل ، ضرورية للإنسان ضرورة معيشته في الحياة بين أفراد المجتمع.

إن نمو الإنسان في التقدم الاجتماعي ، قد استلزم تطوراً أو نمواً مقابلاً له في لغته ، إذ أن اللغة وسيلة للتفاهم الاجتماعي ، فلا بد أن ترقى وتتطور مع تتطور المجتمع ورقيه.

واللغة وسيلة يمكن بواسطتها تحليل أي صورة ، أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها ، والتي يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا، أو أذهان غيرنا، بواسطة تأليف كلمات ، ووضعها في ترتيب خاص.

إن الطفل الذي يردد الكلمات التي يسمعها ممن يحيط به ، لا يتكلم اللغة حقاً، إلا إذا كان مدركاً لمدلول ما ينطق به ، ولا يطلق على الكلام لغة بالمعنى العلمي ، إلا إذا أدى هذا الكلام وظيفته(السيكولوجية)، وهي التحليل التصوري والتركيبي.

اللغة وسيلة للتفاهم بين الأفراد، وهي التي تعبر عن أفكار الإنسان المتكلم أو وجداناته ، كما أنها تثير أفكار ووجدانات السامع ، بل قد تدفعه للعمل والحركة وتحدت استجابات عند توجيهها إليه وإذا لم تحدث اللغة استجابة السامع ، فقد فقدت وظيفتها ، واللغة وثيقة الارتباط بغيرها من الظواهر الاجتماعية ، تتأثر بها وتؤثر فيها، فهي من أهم الروابط القومية لأفراد الأمة الواحدة ، وللشعوب المتعددة المتفقة اللسان، إذ تعتبر احدي مقومات استقلالها، وكيانها السياسي والاجتماعي.

واللغة باعتبارها وسيلة التعليم وتحصل الثقافات ، تؤدي بذلك إلى تكييف سلوك الفرد وضبطه ، وتوجيهه حتى يتناسب هذا السلوك مع تقاليد المجتمع وسلوكه، وهي عامل من عوامل التذوق الفني، فحينما نتذوق شيئاً عن طريق اللغة فإننا ندرك ذلك الشيء إدراكاً يجعنا نشعر به شعوراً مباشراً، فاللغة ليست مجرد ألفاظ تكتب، أو تقال، أو تسمع، أو تقرأ، أنما اللغة لها علاقة كبيرة بالتفكير، بل هي جوهر التفكير، وإذا تأمل الفرد نفسه ، وجد أنه لا يمكنه أن يفكر تفكيراً منتجاً ، إلا إذا صاغ هذه الأفكار في عبارات ، أو رسم ، أو نموذج.

أن ألفاظ اللغة تساعد على سرعة تكون المدرك الكلي أو الفكرة ، أو المعنى المشترك للمدلولات ، والمعاني لا سبيل إلى استقرارها بالذهن وتثبتيها إلا إذ رمز لها بألفاظ اللغة .

والجدير بالذكر أن الكتاب المدرسي لا يفيد المعلم بما يقترحه من أنشطة ونحوها، وتمارس عليه سلطة شديدة قد يستحيل معها إلي تابع للكتاب المدرسي يتقيد بما ينطوي عليه تماماً، دون أن تكون له الجرأة لاقتراح نصوص أو أنشطة أخرى تبدو له أجدى وأنسب في سياق ممارسة العملية التعليمية ، وأحسن من تلك التي يقترحها الكتاب الذي يعمل به في منطقته.

فالكتاب ينبغي أن يكون أداة للاستئناس ، وأن تكون لدى المعلم القدرة على التعامل الواعي مع ما يقترحه ، وعلى نقد ما يحتاج فيه إلى نقد بناء ، وتقديم مقترحات تقوم النقص وتعدل ما يحتاج للتعديل.

فالكتاب المدرسي إنما هو مجهود لثلة من الممارسين والباحثين ، ومادام كذلك فهو يظل عرضة لأن يتسلل إليه النقص والخطأ ، كأي جسد بشري آخر ليس أصحابه بالمعصومين ، وفي هذه الحالة يمكن لمستعمل هذا الكتاب في عمله التعليمي، الإتيان بنصوص بديلة ، واقتراح أنشطة أخرى مما يراه أنسب وأدق وأفضل مع ضرورة مراعاة مبادئ المنهج المعتمد وأهدافه وغاياته ، وتجنب كل ما من شأنه أن يمس بالأخلاق والقيم والثوابت وغيرها.

فالكتاب المدرسي يختلف عن الكتاب العادي ، وقيمته تظهر في الاستخدام والمعلم لا يجب أن يكون ملزماً به ، يُدَرسه بطريقة آلية، بل اعتماداً على المنهج الدراسي وبمرونة أيضاً تتيح له هامشاً من الحرية للتصرف ، إذا استدعى المقام ذلك (1).

ولا مناص لمن يتصدى لتأليف الكتاب المدرسي أن يلتزم مجموعة من الضوابط ، وأن يحترم جملة من المبادئ والتوجيهات ، وأن يتجه إلى تصريف الأهداف المراد تحقيقها بأيسر السبل حتى يستطيع المتعلم استيعابها وتمثلها والتشبع بها ، والانطلاق منها في بناء شخصيته

وخدمة محيطه ، ولعل من أبرز المواصفات التي ينبغي أن تتجسد في الكتاب المدرسي ، ارتباطه بالواقع الذي يعيش فيه المتعلمون ، حيث يعكس ما يتسم به هذا الواقع من غنى ثقافي ، وتنوع اجتماعي بيئي ؛ لأن ذلك هو الضامن يتفاعل المتعلم معه ، وإقباله بحب عليه , مادام يلمس فيه واقعه المعيش ، ويستجيب لجملة من احتياجاته ، وهذا ما يدفعنا للحديث عن البعد البيئي في الكتاب المدرسي ، بما في ذلك الكتب المعتمدة في التعليم الليبي وبالخصوص في المرحلة الابتدائية.

يهدف النظام التربوي والتعليمي بليبيا إلي تحقيق عدد من الأهداف الجوهرية وإلى غرس جملة من القيم في صفوف المتعلمين رجال الغد ، منها ترسيخ الهوية الليبية والوعي بتنوع روافدها وتفاعلها وتكاملها ، ولتفعيل هذا الهدف ينبغي الأخذ بالمضامين المقدمة لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، والتي منها استثمار غني وتنوع الثقافة الوطنية والثقافات المحلية والشعبية باعتبارها روافد للمعرفة ، والاهتمام بالبعد المحلي للمضامين وبمختلف التعابير الفنية والثقافية ، ويظهر هذا الحرص على مراعاة التنوع الثقافي والارتباط بالواقع المعيش في كتاب الصف الأول الابتدائي حيث ورد في مقدمة هذا الكتاب أنه يتضمن ((نصوصاً قرآنية وظيفية نثرية وشعرية ليتم استثمارها في مسارات متعددة من توظيف للأساليب ، وتحليل للمادة اللغوية وتكوين أنماط لغوية جديدة ، على أسس علم الأصوات الذي يتتبع الأصوات حسب مخارجها بدءاً من الشفتين وإلى أقصى الحلق)) (2).

وحين نتصفح كتاب اللغة العربية للصف الأول، نجد أن البعد المحلي حاضر فيه بشكل أو بآخر، ومراعى فيه ضمنياً من دون التصريح به في مقدمات الكتب أو بين تناياها، من منطلق أن الكتاب المدرسي موجه إلى التلميذ الليبي ، دون تمييز بين من يسكن في الحاضرة والبادية ، أو من يعيش في بيئة جبلية أو ساحلية أو سهلية أو صحراوية ، ولذا نجد هذا التنوع

حاضراً في الكتاب ، ولو بدرجات متفاوتة ويظهر ذلك من خلال الصور المقدمة، ومن خلال أسماء بعض الأعلام المستعملة فيه.

إن الصورة في المجال التعليمي عنصر أساس ، وسيط ذو أهمية قصوى ولاسيما في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية ، وكلما تقدمت به السنوات في المدرسة قلت الصور من الكتاب المدرسي ،فالصورة تساعد على تعلم التلميذ، وتسير أمر اكتسابه جملة من المعلومات والخبرات والمواقف ونحوها ، ويشترط في هذه الصور أن تتصف بموصفات محددة ، منها أن تكون وظيفية لامجانية مؤتي بها لغير فائدة ، وأن تكون واضحة ومعبرة ، متنوعة غير مشعرة بالروتين والملل ، ومنها ألا تمس بالأخلاق والآداب العامة والمقدسات والثوابت ، وألا تكون منطوية على دعاية لأي جهة أو ترويج لأي منتج استهلاكي وغيره ، بل يجب أن تكون رسالتها تربوية وتعليمية أساساً، بعيداً عن الأدلجة والانحياز، وأن تحقق أهداف توظيفها بيُسر، حتى تكون محتوياتها وأبعادها قريبة من مدارك المتعلمين ومحيطهم وبيئاتهم ومتصلة بها اتصالاً مباشراً، فالتلميذ الذي يسكن في بيئة بدوية نائية يصعب عليه إدراك فحوى صورة تعكس جانباً من الحياة الحضرية العصرية ، لم يسبق له أن شاهده ، ومضمون صورة تمثل بعضاً من المأكولات أو الألعاب أو المظاهر المحلية تتصل بالبيئة الحضرية ، لايستطيع تلميذ يقطن بالريف إدراك دلالة هذه الصور.

لذا يحرص مؤلفي الكتاب المدرسي على مراعاة هذه الفروق حين اقتراح الصور التعليمية، بحيث يتم التركيز على((انتقاء الصور والرسوم على الأشكال القريبة من المتعلم الصغير، خصوصاً ما يتصل بحياة الطفل وبيئته وخصوصيات المنطقة الجغرافية والتاريخية التي يعيش فيها)) (3).

ويظهر لمتصفح كتاب اللغة العربية للصف الأول الابتدائي ، أن عدداً من الصور الواردة تعكس خصوصيات بعض الجهات والمناطق داخل ليبيا ثقافياً واجتماعياً، ويجسد ماتمتاز به هذه البلد من تنوع ثقافي مهم، وبعضها يشير إلى معالم تحيل على جهات ومناطق بعينها، لايجد المتعلم أحياناً صعوبة في الاهتداء إليها، لاسيما إذا كان قد عاينها أو تنتمي إلى المحيط الذي يقطن فيه ، ففي مفتتح الصفحة (35) من الكتاب تظهر صورة لعدد من الخيول في سباق، وأسفل الصورة وضعت عبارة ((فراسٌ يذهب إلى ميدان الفروسية))، والخيل من الحيوانات الموجودة في بيئة أغلب تلاميذ هذا البلد، كما تظهر بعض الصور لأشجار النخيل والزيتون في الصفحة((67)) من هذا الكتاب ، وهذه من الأشجار الموجودة في كل المدن الليبية والتي يتعرف عليها الطفل منذ نشأته الأولى ، لوجودها في بيئته المحيطة وهذه الصور جاءت مرتبطة بنشيد في نفس الصفحة ، مفرداته يسهل على التلميذ في هذه المرحلة نطقها بسهولة ويسر ، منه:

قالت النخلة: أهلاً

أنا أعطي التمر

قالت الزيتونة: أهلاً

أنا أُعطي الزيتون . (4)

فالطفل في المراحل الأولى للدراسة يخضع لظروف البيئة المحدودة التي تحيط به أولاً، والتي تتسع دائرتها بالنسبة له بالتدرج بعد ذلك ، وهو دائم الاستجابة لكل المؤثرات التي يتلقاها من البيئة ، واستجاباته خاضعة لنوع من المؤثرات الخارجية وقوتها من ناحية ، ولما ولد معه من غرائز واستعدادات وميول فطرية من ناحية أخرى.

أن النمو اللغة عند الطفل متأثر بعاملي البيئة والوراثة ، بل وقوي الارتباط بأنواع النمو المختلفة ، ولايمكن دراسة النمو اللغوي علي أنه مستقل عن النمو في حياة الطفل، ولكن باعتباره ناحية من نواحي النمو الاجتماعي الذي يظهر في سلوكه بصورة مختلفة.

هذا وينبغي أن تطفر اللغة العربية في مراحل التعليم ، بقدر كبير من العناية والاهتمام باعتبارها وسيلة نعتمد عليها في تربية التلميذ، ليكون متصلاً بيئته، غير بعيد عن الحياة التي تحيط به، وهذا ما يجب أن يراعيه مؤلفي هذه الكتب، ليتسنى للتلميذ فهم ما يتعلمه في هذه المرحلة، فعندها يطلب من التلميذ فهم كلمة معينة مرتبطة بصورة أو برسم لا يمكن له استيعابه ، وهي غير موجودة في بيئته المحيطة، هذا مما يحقق أن ينشأ التلميذ مكتسباً المهارات اللازمة، بحيث يكون قادراً على الاستماع بانتباه وفهم ما يسمع بصورة مناسبة.

وفي الصفحة((99)) من هذا الكتاب ، نجد خريطة لدولة ليبيا وتحوي هذه الخريطة مجموعة من الصور توضح معالم هذا البلد ، فأعلى الخريطة من اليمين والذي يمثل الشمال الشرقي من ليبيا ، تظهر صورة لاقتران البحر بالجبل الأخضر حيث تعد هذه المنطقة معلماً سياحياً بارزاً، وفي الشمال الغربي من الخريطة تظهر صورة للسرايا الحمراء الموجودة في العاصمة طرابلس ، وقد بنيت في العهد العثماني، كما تضمن هذه الخريطة صورة لواحات الجنوب، وصورة آخرى للجبال والوديان الموجودة في الجنوب الغربي من ليبيا، أسفل الصفحة تحت هذه الخريطة المصورة نجد العبارات الآتية:-

((أنا ليبي حر، بلدي ليبيا، بلدي جميل ورائع، أحب بلدي، ماأجمله ! ماأروعه! ما أحلاه!)). (5)

وفي الصفحة((100)) من الكتاب نجد صورة لطفلة ترتدي الزى الليبي التقليدي، وتتوشح بعلم الاستقلال ، وأسفل الصورة نجد العبارات الآتية:-

((أنا ليبية حرة، بلدي ليبيا، أنا رباب، أنا ليبية حرة، أنا زينب،أنت ليبية حرة،هي مريم، هي ليبية حرة)). (6)

ومما يؤكد علي تنوع البيئي الجغرافي في هذا البلد ، تلك الصورة الموجودة في الصفحة((105)) من هذا الكتاب ، حيث تظهر أربع صور، الأولى لعدد من الأطفال يمرحون في حديقة ، وبجانبها صورة أخرى لوادي تظهر فيه أشجار النخيل والزيتون ، وتحتها صورة لبيت من الطراز القديم يمثل النمط الأمازيغي في البناء.

وفي الصفحة ((107)) من هذا الكتاب صورة لجمل في الصحراء ، وتحت الصورة كتبت هذه العبارة:-

((هذا جملٌ، الجمل حيوان أليفٌ، يغطي جسم الجمل وبرٌ)) .)(7)

وتتكرر في الصفحة((113)) صورة لعلم الاستقلال يتوسط خريطة الوطن وتحت الخريطة جزء من النشيد الوطني:-

"" **يا بلادي يا بلادي بجهادي وجلادي**

ادفعي كيد الأعادي والعوادي

واسلمي اسلمي اسلمي

اسلمي طول المدى

إننا نحن الفداء

ليبيا،،،،، ليبيا،،،،،،، ليبيا""

وفي الصفحة ((137)) تعتلي الصفحة صوورة لمجموعة من الأطفال وهم يؤدون الصلاة جماعة ، وتحت الصورة كتبت العبارة الآتية:-

((صلواتي في اليوم خمسة، أصابع اليد خمسة، أصابع القدم خمسة))(8)

فهذه الصور الفوتوغرافية الموجودة في الكتاب تشي بالتنوع البيئي الجغرافي والثقافي في ليبيا، كما نلحظ في الكتاب المدرسي لمادة اللغة العربية صوراً ورسوماً تظهر المشترك بين جهات البلد ومناطقه، من ذلك مثلاً الصور التي تجسد ألعاباً تمارس من قبل أطفالنا في كل مكان ، وإن كنا نلاحظ بعض الفروق بينها من منطقة إلى أخرى، فيما يتعلق بكيفية ممارستها.

لايتجلى البعد الجهوي والمحلي في الصور والرسوم فحسب، بل يمكن أن نلمسه أيضاً، في بعض أسماء الأعلام الأدمية المستعملة في الكتاب المدرسي لمادة اللغة العربية للصف الأول الابتدائي ، فإذا كان جُل أسماء الشخصيات المستخدمة فيه مما هو عام متداول في مختلف جهات ليبيا ومناطقها، في الشمال كما في الجنوب ، وفي الشرق كما في الغرب، مثل ((أسماء، رباب، زينب، خالد، كمال، صالح)).

هذه أمثلة من الكتاب المدرسي في مادة اللغة العربية للصف الأول الابتدائي يظهر لنا من خلال تصفحها أنها تنطوي على مؤشرات((صور ورسوم وأسماء)) تعكس التنوع البيئي والثقافي في ليبيا، في كثير من المواضع، وتدل على احترام مؤلفيها للتوجيهات والضوابط المنصوص عليها في الوثائق الرسمية المؤطرة للمنظومة التعليمية، والموجهة لعملية إنتاج الكتب المدرسية وتأليفها.

1- جريدة((بيان العلوم)) المغرب، ع ، 6881 ، الأربعاء 2014/2013، ص 7

2- اللغة العربية للصف الأول الابتدائي بمرحلة التعليم الأساسي، لجنة من أساتذة اللغة العربية ، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، ط2014/1.2013م، مقدمة الكتاب.

3- الصورة في كراسة الوضيعات الإدماجية بالتعليم الابتدائي، أحمد الكبداني، مجلة ((علوم التربية))الرباط،ع 49، أكتوبر 2011، ص 154.

4- اللغة العربية للصف الأول بمرحلة التعليم الأساسي، مرجع سابق ، ص 67

5- نفسه ، ص 99.

6- نفسه ، ص 101/100.

7- نفسه ، ص 107.

8- نفسه ، ص 137.